

التراث الفلسفي الأخلاقي المشترك الفيض الكاشاني انموذجا

الدكتور ياسين حسين الويسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم وآله اولي الصراط المستقيم وبالنظر ومن تبع نهجهم الى يوم الدين .

وبعد

فان الاخلاق في تراثنا الاسلامي لها اثر كبير في كونها من المشتركات التي جمعت شعوب الارض جميعا التي دخلت دين الاسلام وتكمن اهمية الاخلاق من حيث اكدت عليها مصادر الدين الرئيسية القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وروايات اهل البيت عليهم السلام ومنهج الصالحين العارفين لذلك جعلت عنوان بحثي "التراث الاخلاقي عند الكاشاني" باعتباره شخصية اسلامية ليست عربية ومع ذلك فقد احتل مكانة عظيمة في نفوس المسلمين العرب وغيرهم ، ولقد وجدت في شخصية الكاشاني شخصية اسلامية جامعة حيث ابتدأ فلسفته الاخلاقية من منطلقات دينية اساسها القرآن الكريم والسنة النبوية وروايات آل البيت عليهم السلام وكتب فلاسفة الاسلام الاخلاقية كالغزالي ، ابن عربي ، وصدر الدين الشيرازي، وقد عمل على تهذيب كتاب الغزالي احياء علوم الدين في كتاب سماه (المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء) قام بدعم روايات الغزالي التي فيها ضعف بروايات موثقة عن اهل البيت عليهم السلام ، وقد اعتمدت على

المصادر الام في ذلك وهي كتب الفيض محسن الكاشاني، وغيرها من المصادر التاريخية والمراجع ،

حيث ان الكتابة عن الفيض محسن الكاشاني يعتبر عملاً بكرًا، فاجتهدت في استخراج قضايا الاخلاق من كتابه لاسيما الذي هذب فيه مذهب الغزالي في الاخلاق في كتابه احياء علوم الدين ورتب الكاشاني ابوابه وقعد رواياته الضعيفة بالروايات عن الأئمة عليهم السلام . لقد جمع الكاشاني المسلمين بمختلف مذاهبهم تحت مذهب واحد هو المذهب الاخلاقي العرفاني فكان عمله هذا مشتركاً فلسفياً اخلاقياً . يجمع المسلمين عبا وغيرهم سنة وشيعة تحت هذا العنوان القيمي والانساني فالانسانية جمعاء تنشد الخلق المثلى وهذه الخلق المثلى يرى الكاشاني انها لم تجتمع لاحد من الخلق كما اجتمعت في شخص النبي صلى الله عليه وآله الذي كان خلقه القرآن، واهل بيته عليهم السلام الذين كانوا قرآنا يمشي على الارض. اذن العوامل المشتركة كثيرة ، غايتنا ان نفعل هذه المشتركات ونقلل من اهمية الاختلاف ، لننهي بذلك الخلاف . فالاختلاف ممدوح طالما لا يؤدي الى الخلاف ، املين من الله مباركة الجهود فهو القادر سبحانه.

وكان منهجي في هذا البحث هو المنهج التاريخي والوصفي، لذا رتبته بحسب ذلك المنهج.

وكانت خطتي انني جعلته في ثلاثة مباحث: اما الاول فكان في حياة الكاشاني وثقافته وهي مطلبين. اما المبحث الثاني فكان في مفهوم الاخلاق واهميتها وجعلته في مطلبين ايضاً. وكان المبحث الثالث: يدرس الاخلاق عند الكاشاني الفضائل منها والردائل وفي مطلبين كذلك. وقد ختمت بحثي باهم النتائج التي توصلت لها في هذه الورقات. كذلك وصيتي لزملائي الباحثين في مجال تراثنا الاخلاقي بضرورة الاهتمام به للعودة بالمجتمع الى ان يعود مجتمع فاضل يحتذى به .

لقد تبين لنا من خلال السياحة في حياة وثقافة الفيض محسن الكاشاني عدة امور من اهمها:

١. ان الكاشاني رحمه الله كان يمثل القدوة في الحوار المتزن من خلال ثقافة التقريب التي سار عليها، وقدم لنا تراثاً فلسفياً اخلاقياً مشتركاً.

٢. وصف الفيض الكاشاني خطابه الفلسفي الاخلاقي في مواجهة التطرف والافكار الغالية المغالية والمتشددة في مختلف الاتجاهات.

٣. ان الكاشاني كان من العلماء الموسوعيين فقد كتب وصنف وافرد لها مؤلفات خاصاً سماه "الحقائق في الاخلاق".

٤. لقد مزج الفيض محسن الكاشاني مسائل الاخلاق بالعرفان ونظرياته فربط بين فضائل الاخلاق ومقامات العارفين.

٥. لقد تأثر الفيض محسن الكاشاني في علم الاخلاق بالامام الغزالي فكتب المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، ويعني به احياء علوم الدين للغزالي فهذب رواياته وعصدها بالروايات عن الأئمة عليهم السلام.

٦. ان مرجعية الفيض محسن الكاشاني في علم الاخلاق كانت تتمثل في القرآن الكريم وآياته الدالة على حسن الخلق بالاضافة الى السنة المطهرة وروايات اهل البيت عليهم السلام.

٧. بالاضافة الى ذلك فقد نهل الفيض محسن الكاشاني من علامة عصره صدر الدين الشيرازي الملقب بملا صدرا.

٨. لقد ترك لنا الفيض محسن الكاشاني ثروة تراثية في علم الاخلاق وجدنا اثرها في مختلف مؤلفاته وفي تلامذته الذين رفعوا رايته عالياً بين أئمة العرفان الصوفي وفلاسفة الاخلاق.

٩. يعد الكاشاني من اهم الشخصيات التي وضعت قواعد اخلاقية مثل وبين الاخلاق المذمومة وسبل تركها.

١٠. اشار الفيض محسن الكاشاني الى ان الاخلاق على قسمين: الاول بالفطرة والثاني بالاكْتساب وان بوسع الانسان تغيير اخلاقه السيئة باخلاق فاضلة بالممارسة والتربية والاكْتساب.

١١. لقد ركز الفيض محسن الكاشاني على ان المجاهدة والرياضات الصوفية هي السبيل الى تغيير الاخلاق المذمومة ومحاربة النفس وشهواتها وتحليتها بالفضائل لكي تكون ربانية.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.